Dirasat: Human and Social Sciences, Volume 52, No. 1, 2025

Deanship of Scientific Research

The Use of Intertextuality in the Sermons of Abu Ja'far al-Mansur

Mahmoud Saleem Hayajneh*

Department of Arabic Language, Faculty of Arts and Languages, Jadara University, Jordan.

Received: 23/10/2023
Revised: 28/11/2023
Accepted: 14/1/2024
Published online: 14/11/2024

* *Corresponding author:*
hayaj64@gmail.com

Citation: Hayajneh, M. S. (2024). The Use of Intertextuality in the Sermons of Abu Ja'far al-Mansur. *Dirasat: Human and Social Sciences*, *52*(1), 491–500.
https://doi.org/10.35516/hum.v52i1.5997

© 2025 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

Abstract

Objectives: This study aims to elucidate the intricacies of argumentative intertextuality within the political speeches of Abu Jaafar Al-Mansur, employing it as a strategic device woven through the threads of heritage. The intersection of these threads creates countless connections by summoning diverse heritage evidence, absorbed by the preacher to unfold his speeches. The oral prose, rich in semantic nuances, draws significantly from religious texts, particularly the Qur'an and the Prophet's hadiths, forming the core of its essence. The study focuses on highlighting and manifesting these aspects through the technique of intertextuality and its associated mechanisms.

Methods: The methodology involves a thorough examination of argumentative features, specifically through intertextuality, present in the political speeches of Abu Jaafar Al-Mansur. Recognizing that every creative text relies on references and sources, this study explores the rich heritage tributary forming a dialogue scene with recipients, extending beyond their conscience and feelings.

Results: Results indicate that despite their brevity, these sermons exemplify argumentative excellence, incorporating mechanisms attuned to the addressees' reality, situation, and position. The research emphasizes Al-Mansur's endeavor to construct a model text endorsing his theory of the caliphate and authority, utilizing heritage texts to bolster his argumentative stance. The study concludes that intertextuality, especially of a religious nature, emerges as a highly effective mechanism, enveloping recipients intellectually and emotionally through their religious and cognitive wealth.

Conclusion: This research underscores the importance of studying political speeches in the Abbasid era with an intertextual and argumentative lens to unveil their references and foundational principles.

Keywords: intertextuality, arguments, political speeches, Abu Jaafar Al-Mansur.

حجاجية التناص في خطب أبي جعفر المنصور

محمود سليم محمد هياجنه*

قسم اللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة جدارا، الأردن.

ملخّص

الأهداف: هدفت هذه الدراسة الكشف عن حجاجية التناص في خطب أبي جعفر المنصور، بصفتها استراتيجية حجاجية، غزلت نسيج غزلها عبر خيوط تراثية تعانقت فيما بينها تقاطعا فنيا؛ لتشكل تقاطعات لا حصر لها، من خلال استدعاء شواهد تراثية مختلفة، امتصها الخطيب لتنفتح خُطَبُه النثرية الشفاهية على إيحاءات دلالية متعددة، والنص الديني مُمَثلا بالقرآن والأحاديث النبوية واحدا من أبرز تلك النصوص التي شكلت لحمته وسداه، وهو ما تهدف الدراسة إلى إبرازه وتجليته عبر تقنية التناص.

المنهجية: تكرس الدراسة جهدها تلمُس المعالم الحجاجية -عبر تقنية التناص- في خطب أبي جعفر المنصور السياسية؛ فلكل نص إبداعي مرجعيات يستند إليها، ونبع يستقي منه، ورافد تراثي زاخر؛ ليشكل مشهدا حواريا، من خلال مرجعية تتموسق مع ما يعتمل في ذهن المتلقي؛ بل تتعداه إلى وجدانه وشعوره.

النتائج: انتهى هذا البحث إلى نتائج كان أبرزها: أن هذه الخطب رغم قصرها، إلا أنها تشكل نصوصا حجاجية بامتياز؛ لتوفر العديد من الأمور الحجاجية فيها، بما يراعي واقع المخاطبين وحالهم ومقامهم، كما توصلت الدراسة إلى أن أبا جعفر المنصور حاول بناء نص نموذجي؛ لتقبل نظريته في الخلافة والسلطة، فاستدعى نصوصا تراثية لها ما لها من القداسة في ذهن المتلقي؛ ليتكئ عليها ويتجلبب بها جلبابا حجاجيا بوصف التناص -وخاصة الديني- تقنية حجاجية أكثر نجاعة، وأعظم قدرة على تطويق المتلقي فكريا؛ ووجدانيا عبر رصيده الديني والمعرفي.

الخلاصة: إنه من الضرورة بمكان، الاهتمام بدراسة الخُطب السياسية في العصر العباسي دراسة تناصية حجاجية للكشف عن مرجعياتها، وما كانت تتكئ عليه في تثبيت دعائم ملكها.

الكلمات الدالة: التناص، الحجاج، الخطب السياسية، أبو جعفر المنصور.

المقدمة

لقد مارست الخُطَبُ السِّياسيَّةُ العباسية مُهِمّة رَئيسَة، في اسْتِعطاف قلوب المجتمع الإسلامي إلى الدَّعْوةِ العبَّاسيَّةِ الجَديدةِ، وبخاصَّةً حينَما كثفت من إظهار ذِكْرِ الفُسوقِ والظلم والفُجورِ والتَّرَفِ، الَّذي مارسه أغلبُ الحُكام الأُمَوِيّينَ، وما ألحقوا به مِن ظُلْمِ النَّاسِ على اختلاف أجناسهم وطبقاتهم، وسَلْب حُقوقَهم، فَضْلًا عن تجييش الناس وتحْفيزهم للانْضِواء لدعْوتهم، وتعظيم لواء العبَّاسيّينِ، وسلّ السَّيْفِ في وَجْهِ الأُمَوِيّينَ، لقد كانتِ ثَوْرةٌ عظيمة شكلت حدثا كبيرا، زلزلت الوجدان، وأهاجت الخَواطِرَ، وأشعلت المشاعر، وكَبْكَبَتْ الأحوال، وبخاصَّة عندما استبيحت الدماء، وانْتِشارِ الهَرَج في تلك الحقبة، على ما رسخ في العقل الجمعي للمسلمين مِن حُرْمةِ الخُروجِ على الحكام المُسلِمين، فكيف إذا تطور الأمر إلى الخُروجِ عليهم وقَتْلِهم، واستئصال شأفتهم، هُم ومَن يوالونهم مِن الأُمَوِيّينَ، ومَن انضم إلى رَكْبِهم مِنْ مَوالِيهم.

وما إن انتصر العباسيون؛ حتى شَرَع الخطباء بتأكيد أنهم أهلها وأحق الناس فيها، كما كانوا يؤكدون أنّ الله هو من مكّنهم وأدالهم من سلطان الأمويين وظلمهم وانتقم لهم بسيوفهم، بعدما عَتَوْا عن أمر ربهم، وجانبوا سُنّة نبيهم، فبخسوا العدل والإنصاف وانتهكوا الحرمات، وقتلوا آل -علي رضي الله عنه- وأشياعه، قتلا شنيعا، وتركوهم طُعْمة للسيف، ونكلوا بهم قتلا وتعذيبا وسجنا، وأرغموهم على النفي والتشريد.

فلا مندوحة؛ من أن يؤسس أبو جعفر المنصور خُطَبه السياسية على تقنية خطابية يكون التناص الحجاجي قاعدتها ولُحمتها، لما تمتلكه من استراتيجية إقناعية، وتأسيسا على مبدأ الأنفع والأجدى والأقوى، وانطلاقا من قاعدة مراعاة الكلام لمقتضى الحال، فالبراعة في توظيف التناص دليل على تَمَكّن الخطيب من المقدرة الكبيرة على الحِجاج والإقناع، والحِذق في نسج الحُجة، فضلا عن موهبته الأدبية وثرائه اللغوي؛ فهو الخطيب الألمعي، والمصقع اللوذعي، ملك الخطابة وسلطانها ومالك زمامها، وبخاصة إذا علمنا أنه منحدر من سلالة مسترضعة ثدي البلاغة والفصاحة.

فالخطيب البارع يلجأ -عادة- إلى بناء مثال فردانيّ، للترويج لفكرة ما؛ فيقوم بتأسيس الواقع على نظرية ما، يتم توسيعها كي تغدو حالة عامة شائعة، وهذا النموذج ينطبق على أبي جعفر المنصور الذي استدعى موروثه الديني وأذابه في نصه لبؤرة حِجاجه؛ ليكون أدعى للتفاعل، وأنكى في الإقناع، وأجدر في استمالة القلوب، وبخاصة إذا علمنا أنه في مجتمع ذي موروث ديني.

وفي هذا السياق يكتسب الخطاب مكانته، وموقعه ونجاعته المرجوة، لأنه ينطلق من مرجعية النص المقدس؛ ليبني عليه واقعا جديدا يؤطر لنظريته، وفي هذا الصدد نحن أمام شخصية تمتلك قوة حجاجية لا تتأسس على الواقع، بل تهدم واقعا، ومن ثم تبني وتؤسس وتُشَيّدُ وترسخ واقعا جديدا، وعلى ذلك يكون من النباهة، والحذق أن يستخدم تقنيات حجاجية تناصية متنوعة، ما بين الموروث الديني والتاريخي والأدبي؛ ليحاصر المخاطَب فكريا وعقائديا، من خلال مخزونه المعرفي على اختلافه وتنوعه؛ فتصبح الرابطة الحجاجية ممارسة خاصة ترتكز على قوة الخطيب الذاتية، بخطاب ذي بُعْد سُلْطوي، إذ " تسهم هذه الآلية في رفع ذات المخاطِب إلى درجة أعلى، وبالتالي منحها قوة سلطوية بالخطاب عند التلفظ في أصله، عندها يتبوأ المخاطِب بخطابه مكانة عليا، ويستمد ذلك من سلطة الخطاب المنقول على لسانه، وبالتالي تصبح السلطة هي سلطة الخطاب الذي يتوارى المخاطِب وراءه" (الشهري، 2010).

يتسمُ البحث بقراءة التناص الحجاجي في خطب أبي جعفر المنصور، والكشف عن التناصية بوصفها استراتيجية صاغت نسيج خُطب المنصور من خلال علائق دينية تراثية؛ فقد كانت خُطبه محل تعالقات، وتقاطعات كثيرة من الاستشهادات الخارجية التي كونت نسيجها، حيث استطاع أبو جعفر المنصور النّفاذ - من خلالها- إلى المُخاطَب؛ لمعرفة أحقية العباسيين بالسلطة، والخلافة وأنهم الشرعيون لهذا الأمر.

وتأسيسا على ما سبق، يستوجب موضوع البحث التأطير لنظرية التناص بوصفه تقنية حجاجية أمَدّتْ نص أبي جعفر المنصور توظيف تقنيات إجرائية مختلفة.

التناصية تقنية حجاجية في خطب المنصور:

ولعل ما يمكن طرحه بداية هو، هل للتناصية تقنية حجاجية يمكن البوح بها على نحو صائت؟ وهل للتناصية أو التناص حجية تُحَرّضُ المتلقي باتجاه خلق نوع من الإقناع والتأثير فيه من خلال النصوص الساكنة في النص المنتج؟ فالمعروف أن " كل نص يبنى كفسيفساء من الاستشهادات" (بيازي، 1996)، وقد عرفته كرستيفا على أنه " ترحال للنصوص وتداخل نصي؛ ففي فضاء نص معين تتقاطع وتتنافى ملفوظات جديدة مقتطعة من نصوص أخرى" (كرستيفا، 1997)، والحقيقة أن التناص لم يَعُد متسربلا بزي التخفي بل هناك دراسات لا حصر لها تناولته بشكل موسع، فلا داعي لتكرار المكرور، وإنما يكفينا من القلادة ما يحيط بالعنق، وما نحن بصدد الحديث عنه.

فالخطاب - بشكل عام – يستوجب أركان ثلاثة: مُرسِل ورسالة ومستقبل، وفي سياق موضوع الدراسة فإن خطب أبي جعفر المنصور مسكونة بنصوص أخرى متداخلة فيها، شاركت في إنتاج نص تحوّل عبرها إلى محرك أساسي يوجه الحجاج، وتنبجس منه ذاتية الخطيب وميزته في قراءته للواقع من خلال قراءة الماضي في سياق الحاضر.

إن المتمعن في خطب المنصور يلاحظ أنها في مجملها خطابات مسكونة بمضامين وأفكار العقل الذي أنتجها، وهي متعالقة مع نصوص سابقة، منها ما هو ديني وأصولي وبلاغي وأدبي وتاريخي و..... الخ، ولقد استخدم أبو جعفر المنصور تقنية التناص كونها استراتيجية بنى عليها خطابه الحجاجي

للمتلقين؛ بقصد الوصول إلى التأثير والإقناع والإذعان والتسليم بالواقع الجديد، ذلك لأن الحجاج في الأصل " ينطلق من فكرة مؤداها أننا نتكلم بقصد التأثير، وتدور نظرية الحجاج حول كونه ممارسة إقناعية خطابية ذات طبيعة عقلانية وفاعلية حوارية ووظيفة إيحائية؛ فالنص الحجاجي في جوهره حوار مع المتلقي حول فكرة بعينها بهدف إحداث تأثير ما" (الشهري،2010).

وقد استغل أبو جعفر حجة الدليل بالشواهد؛ ليكون أحد أهم المرتكزات الأساسية في تقوية حجاجه؛ وقد أشار عبد القاهر الشهري إلى أن الدليل أحد آليات السلم الحجاجي في قوله: " الحجج الجاهزة أو الشواهد هي من دعامات الحجاج القوية؛ إذ يصيغها المخاطب في الوضع المناسب، وهنا تظهر أهليته وبراعته في توظيفها بحسب ما تطلبه السياق" (الشهري، 2010).

يشتغل أبو جعفر المنصور - في خطبه- على معالجة قضية تشعبت الآراء فيها، وكثر الجدل حولها، وتعددت الفرق والأحزاب فيها، فضلا عن أنها دانت للعباسيين بعدما كانت تحت سلطة الأمويين، وفي الوقت ذاته؛ هي قضية طغت على ساحة المشهد العربي والإسلامي، وهي قضية الخلافة؛ فإذا به يتخذ منحى آخر يزعم فيه أن العباسيين أولى به وأحق وأن لهم الشرعية في ذلك، ويحاول عبر تقنيات التناص الحجاجي تغيير قناعات الجمهور حولها وما يعتمل عقولهم، وَفْق آليات ابتغى من ورائها إلى امتثال الجمهور وإقراره، وكأنه انطلق من مبدأ حجاجي أساسه أن الحجاج" لا ينطلق من حقيقة مفروضة، بل من قناعة ينبغي بناؤها .... فالترابط بين الحجاج والتواصل يتوسع ليشمل ذلك الذي يقوم بين الحجاج والإقناع، فالحجة لها غاية إقناعية أصيلة، لأنها تبحث عن إقناع المتلقي بفكرة ما، أو جعله يتخذ سلوكا معينا، أي أن الاهتمام بالحجة يقتضي ضمنيا الاهتمام بالإقناع" (بروتون، وجوتييه، 2011).

لا شك أن هذه التقنيات كانت على وَعْيٍ تام، كما كانت مدعومة بأهْدافٍ، جَمَع لها المنصور كل ما استطاع من آليات؛ لتخترق نفسية المتلقي فكرا ووجدانا، وهي عملية إقناعية هدفها تحويل فكر المتلقي وسلوكه، وتغيير قناعاته؛ لتكون تجاه نظرية العباسيين وتجاه أحقيتهم في الخلافة.

ويسعى البحث لتلمس التناص الحجاجي بوصفه استراتيجية أبي جعفر المنصور؛ ليوجه المجتمع –آنذاك- إلى وجهة متباينة لما استقر في ذهنه من معتقدات حول مسألة الخلافة، وخلْقِ تغيير في موقفه الفكري والعاطفي، ولذا نهضت دعواه الرئيسة للدفاع عن نظرية العباسيين في وجه كل من تسَوّل له نفسه عكس ما يُنَظّر له، فخطبه تحمل وجهة نظر ذاتية تجاه فكرةٍ بعينها، وقد ظهرت صريحة معلنة من خلال ملفوظاته ومنطوقاته.

ومما هو جدير بالذكر أن العباسيين، وعلى رأسهم المنصور، لم يكونوا أول من أسس لقب الخليفة، وبخاصة اللقب الذي يحمل صبغة دينية ذات قداسة عقدية، وإنما تناصّوا مع من زامنهم من الشيعة الإمامية، ومع من سبقهم من الأمويين وغيرهم، والشواهد على ذلك كثيرة، ويتضح لنا بجلاء في كثير من الشواهد أن لقب "خليفة الله كان لقبا رسميا لرأس الدولة الأموي" (الأصفهاني، 1974)، ومما اشتهر أن عثمان بن عفان كان يقول: "انا عبد الله وخليفته عثمان"(الأصفهاني، 1974). وقوله: " وأنشدكم بالله وأذكركم حقه وحق خليفته الذي لم تنصروه" (الأصفهاني، 1974)

ومما اشتهر عن معاوية أنه كان يقول: " الأرض لله، وأنا خليفة الله" (البلاذري، 1971) ولقد كان الأمويون في حضرة معاوية يخاطبهم الناس بلقب " بني خلفاء الله" (الأصفهاني، 1974)، وأما الشيعة فقد أوضحوا أن أئمتهم " خلفاء الله في أرضه"(الكليني 1381ه).

والعباسيون لم يكونوا بمنأى عن هذا اللقب؛ " فلقب خليفة الله ثبت إطلاقه بالشواهد على أبي العباس والمنصور وبقية الخلفاء العباسيين" (ابن عبد ربه، 1965)؛ فالعباسيون استهلوا حكمهم معتنقين المفهوم نفسه من خلال تناص خطبهم وأقاويلهم مع ثقافة الخلافة ومفهومها لدى الأمويون، فقد لقبوا أنفسهم بخلفاء الله، وعدّوا أنفسهم أمناءه، واتخذوا ألقابا كأئمة الهدى، وغيرها(الأصفهاني، 1974)، ولقد أصبح العباسيون يُعدّون أفضل الخلق بعد النبي، شأنهم شأن الأمويين، بل عُدّوا بمنزلة النبيين أنفسهم، وكأن الله اصطفاهم ليصيروا ورثة الأنبياء، وورثة النبي محمد نفسه، ولقد ظل الخليفة كيانا لا يستغنى عنه للنجاة في الآخرة، فهو الإمام الذي بطاعته ينجو المرء من نار جهنم يوم الحساب، كما سنرى.

يقول المنصور:" إنما أنا سلطان الله في أرضه" مرددا ما كان يقوله الأمويون، للغرض نفسه، وكان يرى أن الطاعة لخليفة الله في الارض هي جوهر الأمور كلها" (الطبري، 1961)، "وأنه خازن مال الله وفيئه" (ابن عبد ربه، 1965).

التناص الديني وحجاجه:

مما لا شك فيه أن التناص الحجاجي تقنية تتم من خلال إجراء واعٍ، تنشأ عبر تطويع المحاجج لما يصطفيه من عناصر النص السابق، وكينونة التحويلات التي يحدثها لتنسجم مع نمط نصه، بسبب من هذا كانت اللغة الدينية من أكثر النصوص استدعاء في خُطب أبي جعفر المنصور، لأن سلطة البَيّنة الدينية تكتسب صفة طلاقة القدرة على التأثير عبر الزمان والمكان، فلا تصل لرُقيّها سُلطة أخرى، فسلطتها توجب التيمم بها، وتفرض الانصياع لها والاقتداء بها، لأنها سلطة عقدية مرجعية تهافت أمامها ما دونها، ولذلك نجد أبا جعفر المنصور قد جعلها متكأ، ومرجعية يستند إليها في خطبه لبث نظريته وتثبيتها في العقول والنفوس، فاستدعى النصوص الدينية؛ قرآنا وحديثا وتاريخا ومأثورا، نظرا لما تتمتع به اللغة الدينية من حضور وتأثير في الوعي الجماعي.

وعليه فإن المهمة التي يمكن أن يؤديها التناص الديني، إنما تنبع من خصوصية القدسية للنص، التي تمثلها الرؤيا الدينية في سياق التجربة الشرعية للخلافة الإسلامية، ولذلك نجد أبا جعفر المنصور يتخذ من هذه التجربة بما تحمله من معاني ودلالات؛ ليقيم عليها رؤيته للواقع المعيش.

ونظرة فاحصة في متون خطب أبي جعفر المنصور، يكتشف بوجود نصوص غائبة، مختلفة ومتنوعة في مصادرها، وبخاصة تلك الحشود من المَنْطوقات الدينية المختلفة، التي تصبُّ في النظرية العباسية للخلافة، ويُعد القرآن رافدا مهما لخطبه، إذ لا تكاد تخلو خطبة من خطبه من استدعاء النص القرآني، وامتصاصه على نحو من الأنحاء، وأحيانا يصل إلى درجة الذوبان الذي يمتزج فيه بنسيج الخطبة؛ فتنفتح خطبه على إيحاءات متنوعة ودلالات مختلفة.

التناص مع القرآن الكريم:

لقد استدعت طبيعة التجربة الوجودية للأمة العربية -بما مرت به من أحداث جسام في تلك الحقبة الزمنية- التناص القرآني، وضمنته نظرياتها، كما فعل أبو جعفر المنصور، وغيره من العباسيين لمسألة الخلافة، ومنحها ذلك العمق، وشحنها بالدلالات من أجل التأثير في المتلقي، نظرا لما يتمتع به النص القرآني من حضور، وتأثير في الوعي الجماعي، وعليه فإن المهمة التي يؤديها عن طريق تضمين المعنى، تنبع من خصوصية اللحظة التي مثلتها، ولذلك يتخذ أبو جعفر المنصور هذه التجربة بما تحمله من دلالات أساسا يقيم عليه نظريته، وهو تناص مباشر، وغير مباشر يستوجب في العادة إلى انتزاع الدلالة، وفحص أواصر الاقتران بين النصيْن، وفي هذا يغدو النص القرآني أكثر مرونة لطاعة المسارات الدلالية للنص المسكون فيه، فقد يبعده عن مقاصده الأصلية إلى مقاصد جديدة، لأنه تدخل ينشئه المحاجج في تركيبة النص الجديد، وربما يلجأ المحاججُ إلى مجموعة من الألفاظ التي يتناص معها؛ لتخدم نظريته.

ولعل التناص يبدو لنا من اللحظة الأولى في مُفتتح النص، ويمكن ملاحظة ذلك عندما نراه يشير إلى مقصده من الكلام المُوَجّه للجمهور، فنكتشف أنه يستمد طاقته من النص القرآني؛ ليغدو بمماثلته أكثر مطابقة معنوية مع الحق؛ ليصبح أجدى في الإقناع والتأثير بما يحوزه النص المقدس من سلطة ينقاد لها المتلقي، وذلك مثل خطبته في عَرَفَة، عندما حجّ بعد بناء بغداد، إذ قام خطيبًا بمكة، مستخدما استدعاء النص القرآني بأسلوب الاقتباس؛ أي بذكر الآية كما وردت في القرآن، ليستشهد بها على موقف ما في نفسه، وهو ما يسمى بالتناص المباشر أو التناص التام، إذ يقتبسُ الخطيب الصيغة القرآنية اقتباسا تاما، ووضعها في نص جديد، متلائمة مع الموقف الاتصالي الجديد وموضوع النص، مثل اقتباسه قول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾[الانبياء،105].

فالاقتباس يوحي بعمق الوازع الديني، والشعور العقائدي لدى الخطيب؛ لأن التناص في هذه الحال يجعل من النص القرآني مرجعا أساسيا لخطبته؛ فالخطيب يضفي على خطبته نمطا جديدا ذا طاقة تأثيرية من الأنماط التعبيرية التي تعزز خطابه، ويوائم بها الرؤية التي يقوم بطرحها، والفكرة التي يقوم باستعراضها، فتبدو روعة التناص في رفع فاعلية التأثير، واضحة جلية من خلال استدعائه لهذه الآية، التي تتموسق مع ما سيعرضه ويوحي إليه، فهو يحاول تقريب المعنى، بل تثبيته في ذهن المتلقي؛ حتى يكون حجة دامغة في وعيه، ويفتح التداخل القرآني في خطبته حقلا إشاريا، يتخذ من التناص التام مهادا فنيا، يعكس ما كان وما هو كائن، بمعنى ما كان طبيعة الحكم السابق، وما هو كائن من طبيعة الحكم الحالي، إذ السابق يمثل حكم الجبر والظلم والجَوْر – حسب رأيه- ولذا انتزع الله المُلك من هؤلاء لظلمهم، ووهبه لمن يمثل الإيمان ﴿ عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾، فهم بهذه الصفات أصحاب الشرعية.

ولا شك في أن استدعاء النص القرآني أكسب خطبته فنية شحذت مخيلة المتلقي، ومنحته قدرة على استحضار الماضي والإذعان للواقع، بمعنى أنه وجّه عناية المتلقي لأوجه الاختلاف بين حال المسلمين وقت حكم بني أمية، وحالهم الآن تحت حكم العباسيين.

وأما النوع الثاني من التناص القرآني في خطبته؛ فهو ما يسمى بالتناص غير المباشر، وهي حالة استلهام لمفردات قرآنية من آيات متعددة، وهي -بلا شك- تقوم بتحويل علاقات النص القرآني في اتجاه النص الحاضر؛ لتمنح المتلقي استحضار النص القرآني الذي وردت فيه، ومن ثمة الاندماج بتتالي عباراته، ومفرداته وتراكيبه وأسلوبه، وبتوظيفه ضمنيا، كما سنرى.

وقد عوّل على وعي الجمهور لبُغيته ومقصده، فسلطة النص القرآني – بهذا- تعزز الخطاب حجية تكتسب صفة التأثير، والقبول التي لا ترد من قبل المتلقي؛ فبعد تلاوته الآية السابقة قال: "أمرٌ مبرمٌ، وقولٌ عدلٌ، وقضاءٌ فصل، والحمد لله الذي أفلجَ حُجّته، وبُعدًا للقوم الظالمين، الذين اتخذوا الكعبة غَرَضًا، والفيء إرثًا، وجعلوا القرآن عِضين، لقد حاق بهم ما كانوا به يستهزئون، فكم ترى من بئرٍ مُعَطلة وقصْر مُشيد، أمْهَلهم الله حتى بدّلوا السنة، واضطهدوا العِتْرة وعندوا واعتدوا واستكبروا، وخاب كلّ جبّار عنيد، ثم أخذهم فهل تحسّ منهم من أحد أو تسمع لهم رِكزًا؟ "(الطبري، 1967).

ففضاء النص كما هو باد، يصدح بسيطرة علاقات الصياغة القرآنية على حقل التناص في معرض التبرير الذي يقدمه المحاجج لمخاطبه، ليزيل عنه شُبهات التأرجح، فضلا عن بناء أواصر الثقة عبر إشاريته إلى الخلافة والشرعية، وقد دعم ذلك بإبداء المثال الذاتي، المتمثل بقوله: " والحمد لله الذي أفلج حجته"، وهو ما تستوجبه الخبرة الذاتية؛ لتصبح محركا فعالا، ورئيسا؛ لتقبل مصداقية الرأي الآخر، ومشروعيته.

وتتصل خُطب أبي جعفر المنصور بالمرجع القرآني اتصالا وثيقا، نحو آيات تثير تداعيات مما كان، ومما يجب أن يكون، فأبو جعفر يستدعي، ويستلهم تلك المفردات والتراكيب، ويمازج بها اللحظة الإبداعية للخطبة؛ فيجعل مفردات وتراكيب قوله في وصف بني أمية، وما حل بهم متقاطعة مع

آيات قرآنية بطريقة التحويل، الذي يعزز خطابه، ويمده بالأدلة الداخلية؛ ليكسبه مصداقية لمشروعيته، ويعظم من فاعليته، ويجعل المتلقي يتحرك لا شعوريا للتفاعل معه، قائلا: " أمر مبرم وقول عدل"، لتتقاطع مع قوله تعالى: ﴿ ما يُبدّل القول لديّ﴾[ق، 29]، ولعله يريد بالأمر المبرم؛ القضاء المبرم وهو "القضاء المطلق، وهو ما سبق في علم الله فلا يتغير ولا يتحول ولا يتأخر" (الفقيه، 2009)، وهو من قوله تعالى: ﴿ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ [ق، 29]، وقول الله تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ [السجدة، 5]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ [الطلاق، 3]، وهو وصف مستعار من أصلٍ مادي، لأنّ الأصل أن نقول كتاب مبرم أي: مطوي، وحَجَر مُبرم، أي: مسقول، وهكذا، وعندما يقال للأمر فإنما يقال على سبيل المجاز، فكأنه يريد أن يقول: أمر تم وانقضى وانتهى، فصار كأنما هو كتاب قد طُوِي أو شيء قد سقل وانتهى أمره، وأما قوله: " قضاء فصل" فيتقاطع مع الآية: ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ * وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ * إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق، 16]، وأما قوله: " والحمد لله الذي أفلج حجته" فيتقاطع مع قوله تعالى: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ [الأنعام، 149]، وأما قوله: " وبُعدًا للقوم الظالمين فيتقاطع مع قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود، 44]، وأما قوله: " وجعلوا القرآن عِضين"، فيتقاطع مع قول الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ [الحجر، 91]، وأما قوله: " لقد حاق بهم ما كانوا يستهزئون"، فيتقاطع مع قوله تعالى: ﴿ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [هود، 8]، وأما قوله: " فكم ترى من بئرٍ مُعَطلة وقصْر مُشيد"، فيتقاطع مع قوله تعالى: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾ [الحج، 45]، وأما قوله: " وخاب كل جبار عنيد "، فيتقاطع مع قوله تعالى: ﴿ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيد ﴾ [ابراهيم، 15]، وأما قوله: "فهل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا" فيتقاطع مع قوله تعالى: ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾ [مريم،98].

وكأني بأبي جعفر المنصور، قد أقام خطبته على القياس، فالمتلقي - لا شعوريا- أمام مُقدمتين، وما عليه إلا أن يستخلص النتيجة المبتغاة دون عناء وجهد، "فالطرح يوجه المسار الاستدلالي نحو القياس الذي يؤسس طاقته الحجاجية"(الدريدي، 2011)، وهكذا تكون العلاقة الاستدلالية محفزا ومستثارا لتراسل ارتباط المقدمات بالنتائج، وعليه سيبني المتلقي الخلاصة متكئا على أريكة أساسية، تنضوي تحت مظلة النص المقدس وهو " قد جعل الله لكل شيء قدرا".

والمتلقي – بلا ريب- يعي هذه المقدمة الكبرى سَلفا، ففيها الحد الأكبر، وهو المحكوم به في النتيجة، لذلك تلقى قبولا عنده، بناء على ما يعتمل في عقله ووجدانه من تلقي الأوامر الإلهية، والانصياع لها، فالمحاجج بنى على المقدمات العُرفية بما ترتبط به من ثنائية الزوال والبقاء، ليستنبط المتلقي الخلاصة بأن لكل موضع حال، فكان النص القرآني ركيزة القياس، فمن خلاله يمكن الوصول إلى النتيجة، " بناء على أن القياس يقوم على التجربة التي ينطلق منها المتكلم لتشكيل صورة استدلالية" (عشير، 2006).

وفي خطبة أخرى بمكة قال: " أيها الناس إنما أنا سلطان الله في أرضه، أسوسكم بتوفيقه، وتسديده وتأييده، وحارسه على ماله، أعمل فيه بمشيئته وإرادته، وأعطيه بإذنه، فقد جعلني الله عليه قفلا، إن شاء أن يفتحني فتحني لإعطائكم، وقَسْم أرزاقكم، فإن شاء أن يقفلني عليها أقفلني، فارغبوا إلى الله وسلوه في هذا اليوم الشريف الذي وهب لكم من فضله ما أعلمكم به إذ يقول: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة،3] أن يوفقني للرشاد والصواب، وأن يلهمني الرأفة بكم والإحسان إليكم، وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم" (الطبري، 1967).

مما هو واضح في الخطبة أنه استدعى آية تامة، على سبيل التناص التام، وهي إشارة لمّاحة من أبي جعفر المنصور لاكتمال الدين وإتمام النعمة، وكأنه يعني بذلك بني العباس، إذ يجعلهم كمال الدين وتمام النعمة للناس، كما أنه تناص يوحي للمتلقي باصطباغ الخلافة العباسية بالصبغة الدينية، مما يشعرهم بالطمأنينة والرضا، ومن ثمة القبول والاقتناع بكل ما ينطق به الخليفة أو يفعله، وهي تجعل المتلقي وهو يستمع للخطبة تتحرك في وعيهم هذه العلاقة، فبذلك تعطي شرعنة دينية، وتعظم من مصداقية الخطبة.

وإذا ما عُدنا للخطبة نجدنا أمام تناصات كثيرة، تناصات غير مباشرة، تنجذب إليها قلوب المتلقين، ويمكننا إحالتها إلى الآيات الأصلية من القرآن؛ فقوله: " أيها الناس" نداء شائع ورد في كثير من الآيات القرآنية، وكثيرا ما ورد في القضايا التي تنبه الناس إلى الحق، والدعوة إليه والترغيب فيه والالتزام بأوامره، والعطاءات المترتبة لمن وافقه، والتحذير لمن خالفه، ولعل أبا جعفر المنصور أراد من هذه المماثلة هو المطابقة المعنوية التي تفضي إلى نداءات بني العباس إلى الحق، هذا من جهة، وأما من جهة أخرى؛ فإنه يوحي بأن سلطانه مفروض على كل من في الارض، وليس على أهل مكة الذين يستمعون إليه، بل يتعدى ذلك إلى غيرهم، فالمخاطِب على وعي فيما يقول، فهو يريد توجيه خطابه إلى عموم الناس على اختلاف أجناسهم وطوائفهم، وهذا تأكيد على نظريتهم التي يمتحون منها منطوقاتهم وخطاباتهم، ثم يقول بعد النداء: " إنما أنا سلطان الله في أرضه، أسوسكم بتوفيقه، وتسديده وتأييده،"، وهذا القول يتقاطع مع قوله تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ﴾ [آل عمران، 26].

والمدقق في مضمون خطابه يجد أن القوة الإنجازية في الأفعال الكلامية، تحكم في الإخبار والإقرار؛ فالمُحاجج يريد أن يحقق بتلفظه بتلك الملفوظات والمنطوقات طاقة تأثيرية واقعية في الجمهور، إذ يؤسس لنظرية يجب التسليم بها من قِبَل المتلقي، وهي نظرية التفويض الإلهي، لقد اصبح الخليفة العباسي يحكم بتفويض من الله، بله من الله مباشرة؛ فهو سلطان الله في أرضه، والقائم بأمر الله، وكأن خلافته أمر ثابت وحقيقي، وبهذا

يصبح مصدر كل السلطات، واللافت للانتباه أن النص يركز هنا على السلطة والسلطان، فقد ذكرت افتتاحية للخطبة وذكرت بلفظها صراحة، وهي كلمة تستوعب تحتها كل أشكال السلطة، وتحمل كل معاني العظمة والفخامة.

وأما قوله: " وحارسه على ماله، أعمل فيه بمشيئته وإرادته، وأعطيه بإذنه، فقد جعلني الله عليه قَفلا، إن شاء أن يفتحني فتحني لإعطائكم، وقسم أرزاقكم، فإن شاء أن يقفلني عليها أقفلني"، فيتقاطع مع قول الله تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف،55]، كما يستمد تناصه من قول الله تعالى: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير،29]، وهذا النص يمثل تناصات متعددة مُدمجة.

وفي خطبة له عندما أخذ عبد الله بن حسن وإخوته، والنفر الذين كانوا معه من أهل بيته، صعد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال:

"يأهل خراسان: أنتم شيعتنا وأنصارنا، وأهل دولتنا، ولو بايعتم غيرنا لم تبايعوا من هو خير منا، وإن أهل بيتي هؤلاء من ولد علي بن أبي طالب، وتركناهم والله الذي لا إله إلا هو والخلافة، فلم نعرض لهم فيها بقليل ولا كثير، فقام فيها علي بن أبي طالب، فتلطخ، وحكم عليه الحَكَمَيْن، فافترقت عنه الأمة، واختلفت عليه الكلمة، ثم وثبت عليه شيعته وأنصاره وأصحابه، وبطانته وثقاته فقتلوه، ثم قام من بعده الحسن بن علي، فَوَ الله ما كان فيها برجل، قد عُرِضَتْ عليه الأموال فقبلها، فدس إليه معاوية :إني أجعلك وليَّ عهدي من بعدي، فخدعه فانسلخ له مما كان فيه، وسلمه إليه، فأقبل على النساء يتزوج في كل يوم واحدة فيطلقها غدًا، فلم يزل على ذلك حتى مات على فراشه، ثم قام من بعده الحسين بن علي، فخدعه أهل العراق وأهل الكوفة أهل الشقاق والنفاق والإغراق في الفتن، أهل هذه المدرة السوداء –وأشار إلى الكوفة- فَوَ الله ما هي بحرب فأحاربها ولا سلم فأسالمها، فرق الله بيني وبينها، فخذلوه وأسلموه حتى قُتل، ثم قام من بعده زيد بن علي، فخدعه أهل الكوفة وغروه، فلما أخرجوه وأظهروه أسلموه، وقد كان أتى محمد بن علي، فناشده في الخروج، وسأله ألا يقبل أقاويل أهل الكوفة، وقال له: إنا نجد في بعض علمنا أن بعض أهل بيتنا يصلب بالكوفة، وأنا أخاف أن تكون ذلك المصلوب، وناشده عمي داود بن علي، وحذره غدْر أهل الكوفة؛ فلم يقبل وتم على خروجه، فقُتل وصُلب بالكناسة ثم وثب علينا بنو أمية، فأماتوا شرفنا، وأذهبوا عزنا، والله ما كانت لهم عندنا تَرَةٍ يطلبونها، وما كان ذلك كله إلا فيهم، وبسبب خروجهم عليهم، فنفونا من البلاد فصرنا مرة بالطائف. ومرة بالشام، ومرة بالشراة، حتى ابتعثكم الله لنا شيعة وأنصارا، فأحيا شرفنا وعزنا بكم أهل خراسان، ودمغ بحقكم أهل الباطل، وأظهر حقنا، وأصار إلينا ميراثنا عن نبينا صلى الله عليه وسلم، فقر الحق مقره، وأظهر مناره، وأعز أنصاره، وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين، فلما استقرت الأمور فينا على قرارها من فضل الله فيها وحكمه العادل لنا، وثبوا علينا ظلمًا وحسدًا منهم لنا، وبغيًا لما فضلنا الله به عليهم، وأكرمنا به من خلافته، وميراث نبيه صلى الله عليه وسلم:

جهلًا علينا وجُبْنا عَنْ عدوهم ... لبِئْسَتْ الخُلّتانِ الجَهْلُ والجُبنُ

فإني والله يأهل خراسان، ما أتيت من هذا الأمر ما أتيت بجهالة، بلغني عنهم بعض السقم والتعرم، وقد دسست لهم رجالا، فقلت: قم يا فلان، قم يا فلان، فخذ معك من المال كذا، وحذوت لهم مثالًا يعلمون عليه، فخرجوا حتى أتوهم بالمدينة، فدسوا إليهم تلك الأموال، فوالله ما بقي منهم شيخ ولا شاب، ولا صغير ولا كبير، إلا بايعهم بيعةً استحللت بها دماءهم وأموالهم، وحلت لي عند ذلك بنقضهم بيعتي، وطلبهم الفتنة، والتماسهم الخروج علي، فلا يرون أني أتيت ذلك على غير يقين "ثم نزل وهو يتلو على درج المنبر هذه الآية: (وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ)" (الطبري، 1967).

والحقيقة التي يجب الإشارة إليها، أنه ما من خطبة للخليفة أبي جعفر المنصور إلا والتناص القرآني يشكل قطب الرحى فيها، سواء المباشر أو غير المباشر، وفي هذه الخطبة تبدو روعة التناص المباشر جلية؛ لتكون حجة دامغة في ذهن المخاطَب، وبيّنة مشرقة في وجدانه، ففي قوله: " وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين"، تناص مباشر مع قول الله تعالى: ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام،45]، والتناص القرآني هنا يفتح حقلا إشاريا فنيا، يعكس ما صنع الله ببني أمية– حسب رأيه- من قتل وتشريد، وانقطاع شأفتهم باستئصالهم، وزوال ملكهم، ومن ثمة رجوع الحق إلى أهله ونصابه في البيت العباسي، لأنهم ورثته الشرعيون، لكونهم أقرب الآل لمحمد صلى الله عليه وسلم، والتناص بهذا الأسلوب يخلع على الخطبة شيئا من الروافد الفنية والجمالية التي ينماز بها النص القرآني؛ ليعكس ما كان عليه المسلمون وقت حكم الأمويين، وما هم عليه الآن في حكم العباسيين، فالمحاجج يقتبس الآية ليمازج بها اللحظة الإبداعية للخطبة، ومن ثمة يقوم برسم صورة تفصيلية للحال الشعورية التي كان الناس عليها، وكيف أصبحوا الآن في غمرة من العز والإباء والأمان، وغير ذلك.

ثم نجده يختم خطبته بآية كريمة تشي بما يعتلج نفسه، وما يختلج ذهنه، وهو الواقع الذي آلَ إليه العلويون، وقد جاءت قراءتها في ختام خطبته وفي أثناء نزوله عن المنبر، وبعد سرد تاريخي لملك العلويين والانتكاسات التي أوصلتهم لفقدان السلطة، ومن ثمة مطالبتهم الخلافة من العباسيين الذين استندوا على أشياعهم الخراسانيين لمساندتهم، وبهذا حققوا النصر على الأمويين، والآية باستظهارها واستحضارها موجهة للعلويين، ولأشياعهم بكل وضوح وجلاء، وكأنه بهذه الآية يشير إلى حقيقة يقينية يجب التسليم بها؛ وهي أن الأمر حيل بين العلويين وما كانوا يشتهون أو يؤملون، بمعنى أنه أمر

إلهي يجب التسليم به، وبهذا التناص المباشر يحيل المخاطب إلى اليأس من ذلك، وكأنه يقول: وأنّى لهم ذلك وقد حال الله بينهم وبين السلطة.

لقد كان القرآن حاضرا بقوة في خطب أبي جعفر المنصور، وبخاصة في المواقف والقرارات الصعبة، ولذا نجده يستظهر هذه الآية؛ لتؤكد تمسكه بالحق الكامل للعباسيين - حسب رأيه- في السلطة والخلافة، وأن لا شرعية لغيرهم بهذا الحق، ولذا يستلهم هذه الآية؛ لوعيه الكامل بمقدرة القرآن على التأثير في متلقيه، ولقد كان حريصا كل الحرص على تحقيق وظيفتها التواصلية والحجاجية والإقناع.

وأما التناص غير المباشر من القرآن في خطبته تلك فيتمثل في قوله: " ودمغ بحقكم أهل الباطل وأظهر حقنا"، فهو يتقاطع مع قوله تعالى: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الاسراء،81]، ومع قوله تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾[الأنبياء، 18]، وأما قوله: " وأصار إلينا ميراثنا عن نبينا صلى الله عليه وسلم" فيتقاطع مع آيات الميراث، بتطويعها بما يتناسب مع نظريتهم في ميراث الملك، وأنهم الوارثون الشرعيون لرسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ليضفي على الميراث صفة الشرعية والقداسة للعباسيين، لأنه ميراث الرسول؛ فالعباس عم الرسول، وهو صاحب الشرعية بوراثته؛ فالعم أب والعم وارث، كما يتقاطع مع قول الله تعالى: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ [النمل، 16].

فشيوع المفردات القرآنية بما تمتلكه من جرس وإيقاع في خطبته، يُظهر فاعلية التعابير القرآنية في خطابه، فقد شحذت صور الخطاب، وقَوّتْ حجته، ومدّت حبل الوصال بينه وبين المتلقي؛ لما تمتلكه من إرث ديني في الوعي الجمعي لعقل المجتمع الإسلامي.

والمتأمل في خطبته السابقة يجد تعالقا كثيرا مع مفردات القرآن اللغوية، ولكنها غائبة بطريقة فنية احترافية، ففي قوله: " ولو بايعتم غيرنا لم تبايعوا من هو خير منا"، وقوله: " إلا بايعهم بيعةً استحللت بها دماءهم وأموالهم، وحلت لي عند ذلك بنقضهم بيعتي، وطلبهم الفتنة، والتماسهم الخروج علي، فلا يرون أني أتيت ذلك على غير يقين" فهو يركز على مفردة البيعة في كل مكان من خُطبه، فعَقْد البيعة ونكثها أو نقضها له في التاريخ الإسلامي مساحة شاسعة، وقد ذُكِرتْ في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح، 10]، وقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح،18]، والبيعة في الإرث الإسلامي مُلزِمَةٌ ولا يجوز نكثها، ومن هنا نجد نباهة الخطيب في استظهارها بطريقته البارعة، فأبو جعفر المنصور يتمثل النص القرآني تمثلا بارعا باستظهار مفردة البيعة التي استطاع من خلال مزجها وإسكانها جسم خطبته؛ لتعود بالمتلقي إلى إرثه الديني، وهي في الوقت ذاته تعكس مقدرة الخطيب من الغوص في الإرث الديني؛ ليختار ما يعانق وجدان المتلقي الديني.

وفي خطبة أخرى بالمدائن، وقد قَتَل أبا مسلم الخراساني، قال:

"أيها الناس: لا تخرجوا من أنس الطاعة إلى وحشة المعصية، ولا تسروا غش الأئمة، فإنه لم يسر أحد قط منكرة إلا ظهرت في آثار يده، وفلتات لسانه، وصفحات وجهه، وأبداها الله لإمامه، بإعزاز دينه، وإعلاء حقه، إنا لن نبخسكم حقوقكم، ولن نبخس الدين حقه عليكم، إنه من نازعنا عروة هذا القميص أجززناه خبي هذا الغمد، وإن أبا مسلم بايعنا وبايع الناس لنا، على أنه من نكث بنا فقد أباح دمه، ثم نكث بنا، فحكمنا عليه لأنفسنا حكمه على غيره لنا، ولم تمنعنا رعاية الحق له، من إقامة الحق عليه." (الطبري، 1967).

مما لا شك فيه أن هذه الخطبة تمثل تعالق النص الحاضر مع نصوص سابقة عليه، يستمد منها حرارته التأثيرية؛ إذ يقوم بتحويل علاقات النصوص السابقة في اتجاه معنى النص الحاضر، يستمد منه الخطاب طاقة تأثيرية؛ لتتحول إلى فضائه تحويلا يقوي خطابه، ويرفده بتأكيدات داخلية للترقية من فاعليته، وإعطاء مصداقية لمشروعيته، ويجعلان المتلقي يتحرك لا شعوريا للتفاعل معه.

فالتناص القرآني في هذه الخطبة يتمثل في مفتتح النص بقوله: " يا أيها الناس"، هذا النداء الذي ورد في محكم الذكر كثيرا، ومن صيغ نداءات القرآن الكريم في خطابه للناس، والمحاجج يستمد من هذه المماثلة مطابقة معنوية مع الحق الذي تحمله، والدعوة إلى الإيمان والعطاء المترتب عليه في الدنيا والآخرة، والتحذير من الكفر وما يترتب عليه من العذاب، كالآتي:

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ * فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ * وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [الحج، 49- 51]، وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُور﴾ [لقمان، 33]. إلى غير ذلك من الآيات التي جاءت بهذه الصيغة، وأما الاتصال الثاني فيتحدد بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ * فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ * أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ * وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ * وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد، 25-31].

فالمحاجج يستلهم الحقل الدلالي للآيات بين الكافرين والمؤمنين، وما يرافقها من النماذج المختلفة للبدائل، التي تتماهى، وتتداخل معهما في الآيات وفي السورة أيضا، والصور المبثوثة في ذلك كثيرة ومختلفة، مثل: الارتداد، والطاعة الجزئية، والنفاق الذي يمثل الطاعة، وإضمار الكفر وغير ذلك من

الصفات السلبية، يعيد المحاجج صياغتها إلى تلقي جوهر الخطبة، ليُصَيِّر الجمهور وهم يتلقون الخطاب، يتحركون ضمن وعيهم لهذه العلاقات مع هذه الصفات، وبدائلها في الآيات، كما يمنحها شرعنة دينية، ترفع من مصداقية الخطبة.

واللافت للانتباه أن الإسرار المتضمن في الخطاب هو ذاته الموجود في الآيات، فعندما يقول:" ولا تسروا غش الأئمة" يتقاطع مع قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ [محمد، 26]، وعندما يقول: " فأبداها الله لإمامه"، يتقاطع مع قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ﴾ [محمد، 30]، وقوله: " آثارُ يده"، بوصفها أفعالا وأعمالا، يتقاطع مع قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴾ (محمد، 30)، وقوله: "فلتات لسانه"، يتقاطع مع قوله تعالى: ﴿ لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾ [محمد، 30]، وقوله: "صفحات وجهه"، يتقاطع مع قوله تعالى: ﴿ فلعرفتهم بسيماهم﴾ [محمد، 30]، والمعلوم أن السيماء تتضح في الوجه، كما في الآية: ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ﴾ [الفتح، 29].

وهكذا نكون بين صنفين مُوازيْن للصنفين الموجودين في الخطاب، من الخارجين على الحاكم والطائعين له، والمصير والعاقبة التي يستحقها كل منهما، والتي توازيها في الخطاب الحق، والحقوق والعطايا لأصحاب البيعة والطاعة، والحكم بالقصاص، والقتل لأصحاب المعصية ونكث البيعة، ﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح، 10]، وهكذا يكون الحقل التناصي مُحفِزا ومستثارا – في الوقت ذاته- لتبادل الكلمات والعلاقات بين طرفي الإيمان والكفر، وما تنضوي تحتهما من دلالات.

التناص مع الحديث النبوي الشريف:

إن شخصية الرسول -صلى الله عليه وسلم- مصدر إلهام لكثير من المبدعين، وبخاصة الخطباء والشعراء وغيرهم؛ لما للنبي من سلطة دينية لها مكانتها وقداستها في قلوب الأمة، وعلى هذا الأساس نجد أن لها تأثيرا قويا في وجدان الناس، وقد أدرك أصحاب الشأن من الخطباء والكتاب هذا الأمر، فكان استدعاؤها وتمثلها في خطبهم وكتاباتهم وشعرهم فعلا وقولا أمر مُلِح، فهي شخصية تمنح النص الحجاجي طاقات إقناعية غير محدودة لدى المتلقين، لأنها تمتلك خاصية القداسة في النفوس، فتأثيرها الوجداني حاضر في النفوس والعقول، لارتباطها في جميع نواحي الحياة الروحية والفكرية، فالخطيب في حجاجيته بحاجة مُلِحّة لإضفاء بعد تاريخي ديني حضاري لدعم قضيته، ولدعم استراتيجيته المتعطشة لبعد حجاجي إقناعي يتخطى حاجز الزمان والمكان، فيتعانق الماضي بالحاضر، في بوتقة الإيحاء والتأثير، ويستلهم المحاجج منها القوة الداعمة في دفاعه عن قضيته، ولهذا لم يَسَعْ أبو جعفر المنصور الذي تناص مع القرآن الكريم واستلهم آياته، لتقوية حجاجيته، إلا أن يستنير بالأحاديث النبوية في خُطَبه السياسية، ففي خطبة له في مدينة السلام/ بغداد، يقول: " يا عباد الله، لا تظالموا، فإنها مظلمة يوم القيامة، والله لولا يد خاطئة، وظلم ظالم، لمشيت بين أظهركم في أسواقكم، ولو علمت مكان من هو أحق بهذا الأمر منّي لأتيته حتى أدفعه إليه"(الطبري، 1967).

فمن الوضوح بمكان استدعاء أبي جعفر المنصور في خطبته الحديث النبوي الشريف، الذي يقول: " يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا" (القشيري، 2006)، أو قوله -صلى الله عليه وسلم-: " اتَّقُوا الظُّلْمَ، فإنَّ الظُّلْمَ ظُلُماتٌ يَومَ القِيامَةِ" (القشيري، 2006)، وسياق الحديثين يشير إلى تحريم الظلم؛ فالأول يشير إلى أن الله حرمه على نفسه وهو رب العباد، وجعله محرما بين العباد، والثاني؛ تحذير من الوقوع في ظلم أحد لأن الظلم يفضي إلى ظلمات يوم القيامة، والخطيب بهذه الكيفية يستغل طاقات هذين النصين في النهي عن الظلم وصُوَره.

والحقيقة أن خطاب المنصور يتكون من مجموعة من الأنساق المتتالية، النداء في قوله: " يا عباد الله" والنهي؛ " لا تظالموا"، والتعليل؛ " فإن الظلم مظلمة يوم القيامة"، وكما هو ظاهر على سطح الخطبة: النصح والإرشاد ووظيفتهما، وأن ما يقابل الظلم عُرْفا هو إحقاق الحق، وإقامة العدل، ولذا يجب الربط بين أول الخطبة والجزء الثاني منها، والذي بدأه بالقَسَم، وبجملتي الشرط، وهو قوله: " والله لولا يد خاطئة، وظلم ظالم.....، ولو علمت مكان مَنْ هو أحق بهذا الأمر..."، وهذا يعني وتأسيسا على هذا الربط، يجب أن نتنبه إلى مسألة الاستبدال، لأنه مهم ومواز لهذا الاتصال، فالنهي يقع على العموم ولا يُسْتثنى منه أحد، بل يتعدى ذلك إلى التنبه إلى أهمية مظلة الطاعة، وهو المقصود، فالذي يقترف الخروج عن الطاعة، يكون ظالما لنفسه وظالما لغيره، ويكون مصيره ظلمات يوم القيامة؛ وأما جانب العدل فيتمثل في محورين اثنين: الأول؛ تُمَثِله جملة الشرط الأولى، والمحور الثاني تُمثله وحدة الشرط الثانية، والمحوران يَصُبّان في بوتقة أحقية الخلافة التي لا يستحقها غيره، لأنه - أولا – ما قام بهذا الأمر إلا لإحقاق الحق وإزالة الظلم، وثانيا؛ لأنه لا يوجد في الأمة من هو أحق بها منه، وهو حق معروف دلت عليه الحقائق والوقائع، ولذلك نرى بأن الخطاب يحمل في طياته التخويف والتهويل من اقتراف المعصية المتمثلة بالظلم، وهو خطاب يجعل المتلقي يعيد النظر مرة تلو الأخرى قبل أن يفكر في ظلم نفسه وظلم غيره باقتراف الخروج عن الطاعة المتمثلة بالخلافة العادلة.

وفي موقف آخر، نرى خطابه يتقاطع مع الحديث النبوي، عندما يقول: " فقد جعلني الله عليه قفلًا، إن شاء أن يفتحني فتحني لإعطائكم، وقَسْم أرزاقكم، فإن شاء أن يقفلني عليها أقفلني" فقوله هنا يتقاطع مع قول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: " وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يُعْطِي" (القشيري، 2006)، ويتقاطع مع قول رسول الله -صلى الله عليه وسلم: " اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت" (البخاري، 2002)، والأداء اللفظي للأحاديث يشير إلى أن العطاء والمنع من الله، لكن سياق الأحاديث يشير إلى مرجعية دلالية تدعو إلى التسليم بما قَدّر اللهُ وقَضَى، فإذا بأبي جعفر المنصور ينقل المجال السياقي ليتناسب ومقصده الحجاجي، من كونه لا يعطي إلا بما قدّر الله، ولا يمنع إلا بما قدر الله، فهو يقوم بقلب اتجاه المعنى، أو بمعنى أدق؛

يقوم بتطويع المقول لإرادة القول.

وفي خطبته التي يقول فيها: " اتخذوا الفيء إرثا" فيتقاطع مع الحديث: " إذا اتخذ الفيء دولا" (الترمذي، 1996)، ذلك أن أبا جعفر المنصور استدعى المُعْطى اللفظي من الشاهد النبوي مع شيء من التحويل؛ ليتمثل به في وجه مخاطبيه، ولتدعيم فكرة ما كان عليه بنو أمية من الجَوْر والظلم، ومجانبتهم سنة النبي الكريم في العدل والإنصاف، وانتهاكهم حرمة الدين، وقتلهم آل علي -رضي الله عنه- وأشياعه، قتلا بغيضا، وتشريدهم في كل مكان وتمزيقهم كل ممزق، فقد مرقوا على دين الله فنهبوا وسلبوا أموال المسلمين؛ وجعلوها فيئا لهم يتوارثونها.

وهذا الجانب من التعريض ببني أمية يبرر سبب خروج العباسيين عليهم، واسقاط دولتهم، أي أن السبب الحقيقي لخروجهم على بني أمية؛ ليس طمعا في السلطة، أو رغبة فيها مع أنهم أحق بها، وإنما لصنيع بني أمية، وأفعالهم التي مارسوها خلال حُكمهم، ومن هنا يستدعي أبو جعفر المنصور النص النبوي لإحداث القبول، الذي يمنحه النص حجية لا تُرَدّ من قبل المتلقين.

فالأمر واضح في السياق الحجاجي عند أبي جعفر المنصور، من خلال امتصاصه للموروث الديني، ليؤكد الدعوة التي يتبناها، لكنه يعيد التناص الحجاجي بناء يبث فيه النص القديم عبر قراءة جديدة، تحمل نوعا من مخالفة السياق، أو تحويل المعنى ليتفق مع سياق نصه، وهذا ما يسمى بالتناص التحويلي لمقصد النص النبوي.

التناص الأدبي في خطبه:

فمما لا شك فيه أن المُحاجج لا يدع شيئا يدعم نظريته إلا استدعاه، وبخاصة المصادر الأدبية: شعرا ونثرا، بوصفها مصادر معرفية، ولقد وجّه أبو جعفر المنصور طاقته الحجاجية صوب التناص الأدبي، كونه أداة توجيهية إقناعية، فضلا عن كونه وظيفة انفعالية، فـ" صانعوا النصوص ليسوا سوى نتاج ثقافي لسياقات الموروث الأدبي، وهم يكتبون من فيض هذا المخزون الثقافي في ذاكرتهم كأفراد، وفي ذاكرة اللاوعي الجمعي لمجتمعاتهم" (الغذامي، 2006)، فكان للنثر حضور كما كان للشعر حضور هو الآخر.

لم تخل خطب أبي جعفر المنصور من الشعر، فقد تناص مع بيت من الشعر حين قال في خطبته التي ألقاها، وقد أخذ عبد الله بن الحسن وأهل بيته، وبعد أن قام بعرض تاريخي للخلافة الإسلامية – في خطبته تلك-: "فمنذ أن قام بها علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومن بعده أبناؤه الحسن والحسين وزيد بن علي، إلى أن وثب بنو أمية وشتتوا شمل العلويين، حتى قيض الله أهل خراسان شيعة وأنصارا؛ لإحياء شرف العباسيين، وإعزاز مكانتهم، فكان أن ظهر الحق للعباسيين، وصار إليهم ميراث النبي -صلى الله عليه وسلم- ليستقر الحق مكانه، فلما استقر مكانه، وظهر مناره وثب العلويون على هذا الحق ظلما وحسدا وبغيا وعدوانا وجهلا وجبنا، ثم قال:

"جَهْلًا علينا وجُبْنا عنْ عدوُّهم لبِئْستْ الخُلّتانِ الجَهلُ والجُبْنُ"

كما استخدم المنصور الشاهد الشعري نفسه، ولكن زاد عليه بيتا آخر، حينما خرج محمد وإبراهيم ابني عبدالله بن الحسن، يقول:

"مالي أكفْكِفُ عنْ سعدٍ ويَشْتمني؟ ولو شتمتُ بني سعْدٍ لقد سكنوا

جهلًا علينا وجُبْنا عنْ عدوّهِمو لبِئْستْ الخُلّتان الجهلُ والجبنُ"

وهو اختيار فيه براعة واضحة، ما يسعف الموقف، فالبيتان فيهما تصوير لذميم الأخلاق، مما يدعم به رأيه، ويزيد من الإقناع والتأثير، في جمهور مستمعيه، من خلال اقتناصه للمعنى المتضمن في هذه الأبيات، فما أسوأ أن يحمل المرء صفة الجبن، فكيف به إذا زاد عليها صفة الجهل؟ وهي في هذا السياق تعريض بالعلويين الذين – حسب رأيه- جمعوا بين الصفتين فخسروا الخلافة وخسروا أنفسهم وأموالهم وأبناءهم، وتشردوا في كل مكان.

الخاتمة:

بعد هذه الجولة بين خطب أبي جعفر المنصور، أبان البحث على أن التناص بشتى أنواعه، قد شكل لحمتها، وقد كان شكل التناص في خطبه ظاهرة حجاجية إجرائية مهمة؛ كونه أداة توجيهية إقناعية، ووظيفة إنفعالية، توافرت عليها خُطب المنصور بمضامينها العقدية والسياسية والاجتماعية، بما تفرضه ضروريات الخطاب؛ فقد احتكم المنصور إلى التناص القرآني، والحديث النبوي، والتناص الأدبي مع جمهوره، وخصومه ومؤيديه في جميع خطبه، والتي حكت واقع الأمة السياسي خلال تلك الحقبة الزمنية، ولقد كان التناص القرآني بشقيه المباشر وغير المباشر أكثر بروزا في خطبه، لوعي أبي جعفر المنصور بقداسته في قلوب المتلقين للخطاب، كما تبين للباحث أن التناص الحجاجي الوارد في الخطب جاء على طريقة الاستدلال والتحويل والتطويع، بمعنى تطويع المقول لإرادة القول، كما أن أبا جعفر المنصور استطاع أن يوظف التناص في شتى أشكاله، توظيفا يتمثل في وعي المستدعي في المقام، وهو استثمار عن وعي تام للتناص..

المصادروالمراجع

القرآن الكريم.

الأصفهاني، ف. (1974). *الأغاني*. (ط 3). بنان، بيروت: دار صادر للطباعة والنشر.

البخاري، م. (2002). *صحيح البخاري*. (ط1). لبنان، بيروت: دار ابن كثير للطباعة والنشر.

بروتون، ف، وجوتيه، أ. (2011). *تاريخ نظريات الحجاج*. (ط1). السعودية، جامعة الملك سعود، جدة: مركز النشر العلمي.

البلاذري، ا. (1971). *أنساب الأشراف*. (ط 3). لبنان، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر.

بيازي، ب. (1996). *نظرية التناصية. مجلة علامات، النادي الثقافي، السعودية، جدة*، 6 (21)، 311.

الترمذي، م. (1996). *سنن الترمذي*.(ط1). تونس: دار الغرب الإسلامي.

الدريدي، س. (2011). *الحجاج في الشعر العربي، بنيته وأساليبه*. (ط 1). الأردن، اربد: عالم الكتب.

الشهري، ع. (2010). *آليات الحجاج وأدواته، ضمن مجموعة مقالات وبحوث في الحجاج، مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة*. (ط1). الاردن: دار عالم الكتب.

الطبري، م. (1967). *تاريخ الطبري*. (ط2). مصر، القاهرة: دار المعارف للطباعة والنشر.

ابن عبد ربه، ا. (1965). *العقد الفريد*. (ط5). لبنان، بيروت: دار الكتب العلمية للطباع والنشر.

عشير، ع. (2006). *عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج*. (ط 1). المغرب، الدار البيضاء: أفريقيا الشرق للطباعة والنشر.

الغذامي، ع. (2006). *الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريح*. (ط 3). مصر، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

القشيري، م. (2006). *صحيح مسلم*. (ط1). السعودية، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع.

كرستيفا، ج. (1997). *علم النص*. (ط2). المغرب: دار توبقال للنشر.

الكليني، م. (1983). الأصول من الكافي. (ط 5). إيران، قم: مطبعة الخيام..

References

The Holy Quran.

Al'asfahani, F. (1974). *Al'aghani*. (3rd ed.). Lebanon: Dar sadir liltibaeat walnashri.

Albaladhari, A. (1971). *'Ansab al'ashrafi*. (3rd ed). Lebanon: Dar alfikr liltibaeat walnashri.

Al-Bukhari, M. (2002). *Sahih Al-Bukhari*. (1st ed). Lebanon, Beirut: Dar Ibn Katheer for Printing and Publishing.

AL,Dridi, S. (2011). *Al-Hajjaj in Arabic poetry, its structure and methods*. (1st ed.). Jordan, Irbid: World of Books.

Al-Ghadhami, A. (2006). *Sin and atonement from structuralism to anatomy*. (3rd ed.). Egypt, Cairo: Egyptian General Book Authority.

alklini, M. (1983). *Al'usul min alkafi*. (5th ed.). Iran: Matbaeat alkhiami.

Al-Qushayri, M. (2006). *Sahih Muslim*. (1st ed.). Saudi Arabia, Riyadh: Dar Taiba for Publishing and Distribution.

Al-Shehri, A. (2010). *Pilgrimage mechanisms and tools, within a collection of articles and research on pilgrimage, its concept and fields, theoretical and applied studies in new rhetoric*. (1st ed). Jordan: Dar Alam Al-Kutub.

Al-Tabari, M. (1967). *History of Al-Tabari*. (2nd ed.). Egypt, Cairo: Dar Al Maaref for Printing and Publishing.

Al-Tirmidhi, M. (1996). *Sunan Al-Tirmidhi*. (1st ed). Tunisia: Dar Al-Gharb Al-Islami.

Ashir, A. (2006). *When we communicate, we change, a cognitive-deliberative approach to communication mechanisms and arguments*. (1st ed.). Morocco, Casablanca: East Africa Printing and Publishing.

Broughton, F., & Gauthier, A. (2011). *History of Al-Hajjaj's Theories*. (1st ed.). Saudi Arabia, King Saud University, Jeddah: Scientific Publishing Center.

Crespeva, J. (1997). *Text Science*. (2nd ed.). Morocco: Toubkal Publishing House.

Ibn Abd Rabbo, A. (1965). *Aleaqd alfirid*. (5th ed.). Lebanon, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah for Printing and Publishing.

Piazzi, B. (1996). Intertextuality theory. *Alamat Magazine, Cultural Club, Saudi Arabia, Jeddah*, 6(21) 311.